ترجمة معاني القُرآن الكريم إلى اللغة الروسية وأثرها في بوشكين ومعاصريه

الدكتور
ناظم مجيد الديراوي
أكاديمية العلوم الروسية

لم يكتف المؤرخون وعلماء اللاهوت الروس بإدراج ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى اللغة الروسية في إطار تاريخ الإستشراق الروسي،الأكاديمي والتعليمي،فحسب،بل أفردوا لها صفحات من تاريخ الثقافة الروسية.لما لها من أبعاد ومميزات عقائدية واجتماعية–ثقافية لدى أتباع الديانة الإسلامية من مواطني البلاد الأصليين،وصلاتهم التاريخية والروحية المديدة بشعوب روسيا ومَنْ جاورهم من أقوام متعددة الأديان والثقافات،كمكون أساسي لاتحاد روسيا القيصرية،أرضاً ومجتمعا وكياناً وحضارةً،هذا أولاً.ولِما للقُرآن الكريم والسِّيرة النَّبوية الشَّريفة والتُراث العربي الإسلامي؛الفلسفي والأدبي،من بصمات جلية على أعمال أدباء وفلاسفة وفناني روسيا العصر الحديث ثانياً.

ينسب مؤرخو العلاقات الثقافية الروسية–الإسلامية بداية اهتمام الدوائر التعليمية والدبلوماسية والدينية في روسيا القيصرية بآثار ومنجزات الحضارة العربية والإسلامية،وفي الغرة منها؛القرآن الكريم(كأعظم أثر عربي–إسلامي)والحديث الشريف ومخطوطات التفاسير والعلوم الإسلامية والكتب

والتحف الفنية النادرة والنقوش والعمران،إلى عصر القيصر المُصلح بطرس الكبير(بطرس الكسييفيتش رومانوف(١٦٧٢-١٧٢٥)). ووقتها، وبتعليمات من هذا القيصر المستنير، أعد العلامة والدبلوماسي الروسي بطرس بوستنيكوف، عام (١٧١٦)، ترجمة روسية لمعاني القُرآن الكريم بعنوان؛(قُرآن عن مغميت[١](محمد)، أو القانون التركي).،غيرَ أن هذه الترجمة لم تكن كاملة ومطابقة لنص القرآن.لأنها نُقلت من ترجمة فرنسية[٢]غير موفقة،زاغت عن صراط الصّدق والأمانة في نقل كلام الله.وكان من مقاصدها الطعن والتشويه،ما جعلها تنطوي على عداء شديد للإسلام،كظاهرة روحية واجتماعية.وضعها،مباشرة من اللغة العربية،عام(١٦٤٧)، المستشرق والدبلوماسي الفرنسي(أندريه دو روييه Andre du Ruyer)[٣]، واختار لها عنواناً (قرآن محمت) يرتاب بكلام الوحي ويكيد للإسلام ولنبيه الكريم بغضاً وكراهيةً. وتنقل المصادر أنه جرى إعادة طباعتها،حتى عام(١٧٧٠)،ما لا يقل عن ثمان مرات.وهي ذات الترجمة التي استفاد منها الأديب الألماني يوهان جوته(١٧٤٩-١٨٣٢)في حقبة تأليف(الديوان الشرقي)، الذي حظي فيه الإسلام والقُرآن الكريم بإجلال وتبجيل لا مثيل لهما في العالم الغربي،بحسب تعبير الأخصائية في أدب غوته العالمة كاتارينا موزين[٤].كما أن المفكر غوته عكف إبّان دراساته القُرآنية المبكرة على التعمق في ترجمة لاتينية دقيقة،أعدها لودوفيكو ماراتشي (Ludovico Maracci)ونشرها عام(١٦٩٨)،كان لها تأثير كبير على إنتاجه الأدبي[٥].

ورغم أن ترجمة (أندريه دو روييه) لا تخلو من أخطاء وتشكو من دقة نقل النص العربي، إلا أنها كانت في رأي البعض(أكمل.!) ترجمة في ذلك

العصر.وقد بلغ من شهرتها وما صادفته من رواج أن نقلت إلى لغات أوروبية كالهولندية والألمانية والإنجليزية[٦].كما وأصبحت(طبعة أمستردام) الصادرة عام(١٧٧٠)، التي ضمت،ويا للأسف!،مقالة حاقدة ومملوءة بالباطل والافتراء على عقيدة وتعاليم الإسلام،وسَعت إلى تشويه السيرة النبوية الشريفة وحملت عنواناً بغيضاً؛(نبذة عن حياة النَّبيّ الدجّال محمت)،أعدها لاهوتي فرنسي حاقد[٧].وشتان ما بين هذا الحقد الصريح على رسول الله،وما كتبه المستشرق الألماني هامر في(كنوز الشرق)عن بلاغة القُرآن الكريم وفصاحة ومناقب النَّبيّ محمد(ص):(فبما ينطوي عليه القُرآن من بلاغة في الخطاب وروعة في الإيقاع وتناسق في النغم،سحر الرَّسول روح شعب يملك حساً مرهفاً بجماليات البيان)[٨]،عماد ترجمتين روسيتين[٩] لمعاني القرآن الكريم،ظهرتا في نهاية القرن الثامن عشر.وكانت الترجمة الأشهر بينهما هي ترجمة[١٠]الأكاديمي والكاتب الروسي ميخائيل فيريوفكين(١٧٣٢-١٧٩٥)التي طبعت عام(١٧٩٠) في العاصمة سانت-بطرسبورغ[١١].ورغم عدم دقتها في نقل كلام الله وإفراطها في المفردات الكنسية ونسخها مغالطات وأخطاء وردت في النسخة الفرنسية إلا أنها تميزت بيسر لغتها وبلاغتها،وحينها اعتبرها العلماء والأدباء الروس،عملاً أدبياً غير عادي.وآنئذ كان لها أثر ملحوظ على مؤلفات نخبة من أدباء وفلاسفة وعلماء روسيا القرن التاسع عشر.وغدت مصدر إلهام الشاعر الروسي الكبير الكسندر سيرغيفيتيش بوشكين(١٧٩٩-١٨٣٧) في نظم قصائده؛(من وحي القُرآن) و(النَّبيّ) و(المغارة السِّرية)[١٢]. وما هو مهم أن الأديب بوشكين لم يأبه، في جل إبداعاته،الشعرية والنثرية،بتلك الافتراءات والترهات المنبوذة على ديننا

الحنيف ونبينا الكريم المُسطَّرة في مقدمة الترجمة الفرنسية المعادية لعقيدة الإسلام وتعاليمه الحنيفة.

وما كانت هذه الافتراءات والطعون والتشويهات سوى أيديولوجية طاغية وسياسة محكمة طبعت خطاب اللاهوتيين المتزمتين وزمرة من المستشرقين الأوروبيين عن معالم الحضارة العربية والإسلامية.ولم نجد تفسيراً لمواقفهم،غير المنصفة واللاعقلانية،تجاه الوحي القرآني وعقيدة الإسلام وسيرة نبيّه وتراثه الفكري إلا في تبعية وخضوع جل دوائر الإستشراق الغربي لنزعة الإكراه في الدين التي سادت منهج وممارسات محافل التبشير الكنسي،منذ اندلاع الحروب الصليبية،ذات الصلة المباشرة بسياسة الاستيلاء،ودون حق،على ثروات شعوب الشرق الإسلامي ونهب ومصادرة أملاكها،في وقت كانت تشكو فيه هذه الشعوب من حالة ضعف وتداعي في بنيتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية.

وكما هو الحال في إبداع الكسندر بوشكين لامس قبس القرآن الكريم وعبق الشعر الغنائي العربي الأصيل فكر وقناعات وخطاب كبار أدباء روسيا من معاصري وأتباع المفكر بوشكين وفتنا مخيلتهم الشعرية والنثرية وعمقا رؤيتهم وتأملاتهم في التقوى والإيمان وجمال الفضيلة والخير والشر والقضاء والقدر وعلاقتهما بأفعال البشر.ويبدو أن هؤلاء الأدباء أدركوا،حقبة بحثهم في الآداب الشرقية عما يخصب الأدب الروسي ويثري فكره وفنونه،أن القرآن الكريم ملآن بالإيمان الحق والتأمل الذي(يهدي للّتي هي أقوم)وعقيدته عقلانية تدعو إلى الرحمة والحكمة والعدل والتسامح(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالّتي هي أحسن إلا الّذين ظلموا منهم وقولوا آمنا

بالّذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)[١٣]، وتبشر بمكارم الأخلاق(إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). ويضم (القرآن) كنوزاً رائعة من سفر الأقوام والأديان القديمة،ويكتنز قيم روحانية تنبذ التّكبر والغلو العرقي والتزمت الديني(إنّما المؤمنون أخوة)و(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والتعصب القومي(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)،وذات صلّة بانتمائهم الروحي،يمكن في حال مزجها بأفكارهم ومعتقداتهم وتعاليمهم الدينية وقيمهم الاجتماعية وميراثهم الشعبي أن تثري،في صورة بالغة القوة،هويتهم الثقافية ومشروعاتهم وأمنياتهم الأدبية والفلسفية–الروحانية في ظل النهوض العارم للعلوم والفنون الشعرية والنثرية والفلسفية الذي كانت تشهده روسيا في القرن التاسع عشر.

ولنا أن نشير إلى أنه بعد عامين من ظهور ترجمة ميخائيل فيريوفكين وضع الكاتب أليكسي كولماكوف عام(١٧٩٢)ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم باللغة الروسية،من طبعة إنجليزية أعدها (جورج\جيورجي سيل–George Sale)[١٤].وقبل ذلك التاريخ،وتحديداً في عام(١٧٨٧)،تم لأول مرة في تاريخ روسيا القيصرية وبتكليف من الإمبراطورة يكاترينا الثانية(١٧٦٢–١٧٩٦)،طباعة القرآن الكريم بنصه العربي في العاصمة سانت– بطرسبورغ،في مطبعة أكاديمية العلوم الروسية[١٥].ويذكر أن هذه الطبعات الفاخرة لاقت اهتماماً كبيراً في أوروبا وحظيت بتقييم عالٍ من جانب المستشرقين وعلماء اللاهوت ومنهم الفرنسي(سلفستر دي ساسي).وحصراً،إلى هذه الفترة ينسب المستعربون الروس نسخة قازان الشهيرة،التي حظيت بتمجيد في روسيا وخارجها.وتنقل مصادر

الاستعراب؛أن الحكومة الروسية رخصت،في بداية القرن التاسع عشر،للجهات المعنية إصدار مطبوعات عن العقيدة الإسلامية وتعاليمها.ولغرض تنفيذ هذه السياسة الجديدة تم عام(١٨٠٢)تأسيس مطبعة،بحروف عربية،في مدينة قازان.وأصدرت المطبعة خلال السنوات الخمس الأولى من عملها مؤلفات عن العقيدة الإسلامية،بلغ عدد نسخها أربعين ألفاً،وكانت حصة المصحف الشريف(٣٥٠٠)نسخة.

ومع إنشاء أقسام وكليات الإستشراق في روسيا القيصرية،في النصف الأول من القرن التاسع عشر،إن في أكاديمية العلوم الروسية أو في جامعة سانت–بطرسبورغ أو في وزارة الخارجية الروسية أو في المكتبة القومية الإمبراطورية، تعاظم الاهتمام،الذي ارتبط بمساعي عصر التنوير وتوجهاته،بالتراث الديني والفلسفي والعلمي والإرث اللغوي والأدبي لمسلمي روسيا القيصرية والشرق الإسلامي عامة.وزاد نشاط العلماء والمترجمين الروس في نقل معاني القرآن الكريم وتفاسيره ومؤلفات العلوم الإسلامية من اللغات الأوروبية إلى اللغة الروسية.وآنئذ شاعت ترجمة ك.نيكولايف الصادرة في موسكو عام(١٨٦٤) والمنقولة من ترجمة فرنسية للمستشرق(أ.ب.بيبريستين–كازيميرسكي). وأعيد طباعتها عدة مرات في الأعوام(١٨٦٥، ١٨٧٠،١٨٨٧،١٩٠١).

ونشير هنا إلى طبعات عديدة شبيهة بترجمة نيكولايف،صدرت في مدينتي موسكو وسانت–بطرسبورغ،تميزت بطابعها التنويري لا بأهميتها العلمية.ولعل سبب ذلك يعود إلى أنها لم تضع على يد أخصائيين في علوم اللغة العربية والقُرآن الكريم،كما أنها لم تترجم من لغة القُرآن مباشرة بل

عبر لغات أوروبية،وأيضاً كونها نقلت من ترجمات غير موفقة في دقتها وأمانتها في الالتزام بنص القرآن،ما يفسر عزوف ذوي الاختصاص عنها وعدم الاهتمام الكافي بها.ورغم هذا كان لهذه الترجمات الروسية مردود إيجابي في إنماء الصلات الدينية والمعرفية بين الثقافتين الأرثوذكسية والإسلامية،إذ منحت القراء الروس إمكانية التعرف على كتاب المسلمين الأول وأركان عقيدتهم الدينية ونظامهم القيمي والأخلاقي.وأضافت،إلى حد ما،للمتعلمين الروس تصوراً إيجابياً جديداً عن المزايا والمعايير الاجتماعية والروحية لشعوب الشرق الإسلامي،ووسعت دائرة التفاعل مع الإرث الحضاري لتلك الشعوب.الأمر الذي ساهم في التقليل من أثر الغموض والملابسات والتصورات المغلوطة التي شاعت في روسيا،بل وفي دول أوروبا الغربية،عن هذا الأثر الديني العظيم ورسالته الإنسانية الرحيمة والعادلة.ويمكن للمختص أن يلمس تعاطف وتفاعل نخبة من الأدباء والفلاسفة الروس مع خطاب القُرآن الكريم والسيرة النّبويّة.بل تعرب بعض مؤلفاتهم(تولستوي، سولوفيوف، بولونسكي، بونين، بالمونت)عن تأثرهم الروحي والمعرفي بالنّص القُرآني والنّص النَّبويِّ.

هذا وسجلت،العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر،تغيراً نوعياً في حركة وسياسة ترجمة معاني القرآن الكريم وتفاسيره ونفائس العقيدة الإسلامية إلى اللغة الروسية،كتعبير عن حالة النهوض والانفتاح،السياسي والمعرفي،التي شهدها علم الاستعراب الروسي والإستشراق عامة،والتواصل والتفاعل مع إرث الثقافة العربية والإسلامية ومدوناتها المعاصرة الذي أثقلته، في العصر السوفييتي،أعباء وقيود أيديولوجية الإلحاد ومناهضة الفكر الديني

ومنظومة قيمه الروحية والاجتماعية والأخلاقية.إذ جرت محاولتان،في آن معاً (تقريباً)،لإعداد ترجمتين من اللغة العربية مباشرة.أنجز الترجمة الأولى المستشرق والدبلوماسي الروسي الجنرال دميتري بوغوسلافسكي (١٨٢٦-١٨٩٣)[١٦]عام(١٨٧١)،والمؤسف أن هذه الترجمة (القرآن، ترجمة وتعليق؛د.ن.بوغوسلافسكي)بقت حبيسة أدراج الأرشيف الروسي لأكثر من قرن من الزمان ولم(تر النور)إلا في نهاية القرن العشرين.إذ جرى سحبها،عام (١٩٩٥)،من خزينة أرشيف معهد الإستشراق،فرع سانت-بطرسبورغ(المتحف الآسيوي)، وقامت دار(الآداب الشرقيةاسانت-بطرسبورغ)التابعة لأكاديمية العلوم الروسية، بطباعتها طباعة فاخرة.أما الترجمة الثانية،فقد إعدادها،عام (١٨٧٨)، المستشرق والمبشر القازاني جوردي سابلوكوف[١٧](١٨٠٤-١٨٨٠)من اللغة العربية أيضاً،وكان عنونها(القرآن،كتاب شريعة العقيدة المحمدية).وحظيت هذه الترجمة منذ صدورها في قازان عام(١٨٧٨)[١٨]بسمعة خيرة وشهرة كبيرة وكانت الأكثر تداولاً بين ذوي الاختصاص وعامة المسلمين.

جلاء القرآن في شعر بوشكين

تكشف مؤلفات الكسندر بوشكين،الذي يعتبره الروس أعظم شعرائهم ومؤسس المذهب الواقعي في الأدب الروسي وسابك اللغة الأدبية الروسية الحديثة،وتعده غالبية النقاد من عباقرة الأدب العالمي،أنهُ استأنس وتأثر بقيم وعبر كتاب الله السميح وقصص الأنبياء والأقوام،التي تعرف عليها من الترجمات الفرنسية والروسية لمعاني القرآن الكريم وتفاسيره التي أمدت وسقت قريحة الشاعر ومخيلته بزاد الشعر اللذيذ.ويبدو أن هذا الإيناس،

الروحي–الإيماني،لامس وأثرى خطاب بوشكين الفلسفي–العقائدي ونحى نحو الشعري،ما تجسد وبان في إيقاع سجع القرآن الفريد،الذي لم يألف له شاعر روسيا الأكبر كفوا لا في إبداعاته الشعرية والنثرية ولا في قراءاته الأدبية والدينية.الأمر الذي تجلى وسطع في قصيدتي(من وحي القُرآن)[١٩] و(النَّبيّ) ومقطوعته الشعرية(المغارة السِّرية)التي نظمها بوشكين بوحي من سورة الكهف التي قرأها في موسم الشَّتاء بمنفاه في قرية ميخائيلوفسكي(جنوب روسيا). هذه السُّورة الكريمة بعثت وبقوة في ذاكرة الشاعر مغارة القرم،الباردة والمكفهرة والمظلمة،وذكرته بحالة النَّفي والعزلة التي كان يعاني منها.، وفي (المغارة السِّرية)تبقى كلمات بوشكين،عند الناقد نيكراسوف،في ضيق بينما الأفكار في مدى رحب.هذا ما تشيع به بلاغة الخطاب ورهافة وتدفق الإيقاع وعمق المدلول وصفاء المغزى في قصائد بوشكين المستقاة من قبس القُرآن.التي تظهر تقديره العالي لكلام الله،المجسد في القُرآن الكريم،وانسجام معتقداته الروحية التي تبشر بثقافة التسامح والرحمة وعدم التمييز بين بني أدم إلا بالتقوى(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)والانفتاح على المعارف والعلوم.وما برح سراج القُرآن المنير منهل الإلهام الشعري والإيماني ومحاكاة الماضي والافتتان البلاغي في قصيدته(المغارة السِّرية)[٢٠]؛

في المغارة السِّرية،

في يوم العسف*

قرأت القرآن العذب

فجأة هبط ملاك السّلوان

حاملاً لي طلسمان

قوته الغيبية

كلمات مقدسة

خطتها عليه

يدٌ خفية.

أسفرت قراءتنا لملحمة بوشكين(من وحي القُرآن)في نصها الروسي واجتهادنا في ترجمتها إلى اللغة العربية ومقارنة مقاطعها الشعرية،المتضمنة نصوصاً دينية وقبس من سيرة الرسول(ص)،بالخطاب الإلهي،أن نابغة الشعر الروسي قرأ بإمعان ترجمتي معاني القُرآن الكريم باللغتين الروسية(ترجمة ميخائيل فيريوفكين)والفرنسية(ترجمة أندريه دو روييه)،ولعله اطلع أيضاً على قصائد(الديوان الشرقي)للأديب الألماني يوهان جوته،الذي سبق الأدباء الروس في اقتباساته من القرآن الكريم والمعلقات العربية وقصائد الشعراء المسلمين عامة والشعر الصوفي بخاصة وحكايات(ألف ليلة وليلة)،وما نقل عن الألمانية من مؤلفات ذات صلة بسيرة النَّبيّ محمّد(ص)والعقيدة الإسلامية.وحصراً،من ترجمة فيريوفكين اقتبس بوشكين آيات كريمة من سور؛(البقرة والكهف ومريم وطه والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والنجم والواقعة ونوح والمُزمّل والمُدثّر والقيامة وعبس والتكوير والفجر والبلد والضُحى...).واستعار قصصاً ومواعظٌ هاديةً وعِبراً حكيمةً وثقت تمسكهَ بالفكر الإيماني النَّير السميح،مبدد الغشاوة وناقل الناس من الجهالة إلى النور.كما وتكشف ملحمة بوشكين أنه استأنس بالمحاجات بين الأنبياء والمشركين(محاجات نمرود بن كنعان الجبار مع سيدنا

إبراهيم(ع))،وانشرح برُشد القلوب التي لا تزوغ وعلم ذوي الألباب المُبين ومعجزة لا إكراه في الدين والصبر الشفيع على بلايا الضّالين.وفي هذه الملحمة الشعرية(من وحي القُرآن)،المملوءة بروح الإيمان والتقوى وتمايز إيقاعها وتباين بنائها الشعري، تتجسد كفاءة بوشكين الرفيعة وموهبته الفذة.وما برحت الظلال الوارفة لأفكار وهُدى كتابنا الحكيم،القُرآن الكريم،تنضحُ بأنوار الهدى والإيمان على أبيات القصيدة.ما جعل معاصري وأتباع الشاعر بوشكين ينظرون إلى ميراث الحضارة العربية–الإسلامية العمراني والثقافي والروحي المتداول كينبوع معرفي متدفق يصب في روافد ورواق الثقافات والمعارف الإنسانية الحديثة،رغم محاولات زمرة من المستشرقين واللاهوتيين الغربيين المتزمتين تغييب معالم تلك الإبداعات والآداب الخلاقة وطمسها في دهاليز الظلام بعيداً عن فكر وثقافة ومجالس العامة..!

وحيثما نقرأ نلتمس ظلال الإيمان القويم تُفئ من نَفحات روح القُرآن وتسري في شعاب ملحمة بوشكين الجليلة الشأن التي ألفناها تأملية–روحانية.قصد بها العبور من تيه الغشاوة والضلالة إلى رحاب النور واليقين والاطمئنان،علّه يُزجي إلى الفردوس روحاً هائمة–حائرة ملتاعة ساورها وسواس الغموض وأضناها عذاب المقام في حشر الدُنيا وشحيح زمانها.والتعرج بها إلى فضاء الغيب الرحيب لبلوغ مقام السَّكينة والخلود تحت ظلاله.ولعمري لولا تشبع ذهن الشاعر بوشكين وقلبه بلباب وهدى القُرآن ومعارفه وأحكامه المُنزّلة لبات من العسير أن يُلْهم بهذا الضرب من

الشعر الرفيع.ولنا في مقطوعته الشعرية التي ضمنها روايته(يفغيني أونيغين)شاهد على ما ذكرناه أعلاه؛

في القرآن كثيرٌ من الأفكار السَّديدة
وها هو،المثال؛ صَلِّ قبل النَّوم ؛
وتجنب طريق الماكرين،
أؤمن بالله ولا تجادل الأحمق.

ومن ملحمة(من وَحي القرآن)المؤلفة من تسعة مقاطع،تضم (١٧٤)بيتاً،ننشر ترجمة المقاطع السبع الأولى(١٢٦)بيتاً.

أقسمُ بالشفع والوتر[٢١-٢٢]
أقسمُ بالسيفِ وَوَقعةِ الحق
أقسمُ بنجمِ الصُبحِ[٢٣]
أقسمُ بصلاةِ المساءِ.

كلا،ما تخليتُ عنك.[٢٤]
ألسْتُ أنا الذي اصطحبَ رأسَ
مَنْ أحَبَّ وأواهُ،في سكِينَة،*
بعيداً عن عسفٍ* يطارده؟
ألسْتُ أنا الَّذي سَقاك
في يومِ الظمأ من ماءِ الصحراءِ؟
ألسْتُ أنا الَّذي وَهبَ لِسانكَ
سُلطاناً قديراً على الألبابِ؟[٢٥]

بمروءةٍ ازدري الباطلَ
واسلك بثقةٍ صراطَ الحق
وأحببْ اليتامى[٢٦]،وبلغ قُرآني
المخلوقاتَ المرتعشة.[٢٧]

.....

لِمَ يتغطرسُ الإنسانُ؟
أ لأنهُ ظَهر إلى الحياة عارياً،
ليعيش ما لا يُزيد عن قرن،
ويموتُ ضعيفاً كما ولدَ ضعيفاً؟

أ لأن الرَّب يُميتهُ
ويُحيه بمَشيئتهِ ؟ [٢٨]
ومن السماءِ يَحميه
في السَّراءِ والضَّراءِ؟

أ لهذا وهبهُ الرَّبُ الثمارَ،
والخبز َوالتَّمرَ والزيتونَ
وباركَ أعماله في النَّلِ
والحقلِ والبُستان؟

لكنَّ الملاكَ أدَّنَ مرتين
ورَعدُ السماءِ على الأرضِ يدوي

والأخُ يفرُ من أخيهِ
وَالابنُ يرتدُ عن أمّهِ.[٢٩]

والكلُ ماثلُ أمامَ الرَّبِّ
ممسوخٌ من الرعبِ،
والكَفَرَةُ يتساقطونَ،
تُغطيهم النارُ والغبرة.[٣٠]

يا للقدر!كأن مصير الشاعر الكسندر بوشكين قد حسم وفقاً لرؤيته عن نهاية كل بطل باسل يخفق بين ترائبه قلبُ ليثٍ.غير(آبه)أن تفيض روحه الطاهرة في واقعة الحق.ولعمري أن الأبيات التالية لا تخلو من نبوءة،إذ صُرِعَ الشاعرُ بعد نظمها في نزال دافع فيه عن الشرف الرفيع.والمفارقة إن هذا النِّزال المميت خلد بوشكين مثلما خلده الشعر ذاته:

حتى يكون القبر راسخاً
حيثُ يرقدُ الباسل هاجعاً
وليكونَ بوسعهِ الثأر،
على المحارب الصالح
دعوة عزرائيل.

أما المجموعات الشرقية للأديب المُبدع الكسندر بوشكين:(القمر يتألق) والرواية الشعرية(يفغيني أونيغين)و(روسلان ولودميلا)والرواية التاريخية (زنجي بطرس الكبير)و(رحلة في ارزروم–أرضروم)،التي ألفناه في تضاعيف مقاطعها الشعرية والنثرية،الحافلة بالأفكار والرؤى الإنسانية الموصولة في هواها بعلاقة حميمة مع الإبداعات الشعرية والنثرية لرموز

الإيمان الصوفي وما تحمله من ومضات الوجد الروحاني والمعاناة الإنسانية ومنغصات الحياة وفيض روحها وألقها الدافق بالخشوع والميل نحو الزهد والذوبان في مشيئة الله ورضائه،سارحاً ومتفلسفاً برؤاه وهواجسه وعذاباته وأخيلته،التي رام بها النزول عند شاطئ الحكمة الوجد والوحي والخيال.

وفي هذه النصوص،الملآى بالتأملات في الوجود والحياة والفناء والتي لا تخلو من منحى وإيماء وجداني–صوفي مس وآنس روح تواقة إلى وشائج الحب ورانية إلى نفح من الإيمان،تغدو مسألة مقارنة معنويات أبطالها بأبطال المؤلفات الصوفية أمراً ممكناً.لكونها تفضي إلى ملاحظة تأثير إبداعات الفكر الصوفي(شعرا ونثرا)،وفلسفته التقية الزاهدة المترفعة عن مشاغل وغراء الدنيا،على كتابات المفكر بوشكين الأدبية والفلسفية.وربما رغب الحائر بوشكين أن يسري بروحه إلى فضاءٍ أسمى وأرفع فضلاً وأكثر بهاء وتقية من فضاءٍ صدم إيمانه وآلم وجدانه ونهر ولاءه للحق وازدرائه الباطل وعال على مَنْ أحب وخيب من أماله وقناعاته وخدش ما كان نفيساً وعزيزاً عليه.

ونلتمس في رائعته الشّعرية(النَّبيّ)قبس من سورة المُدثر(يأيُّهَا المُدَّثِّرُ*قُم ْفَانذِرْ*وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ*)وفيها حضور ساطع من سيرة الرسول الكريم.حتى لكأنّ الشاعر رغب من اقتباس هذا المشهد المقدس الاقتراب من خصال النَّبيّ وطاعته أوامر ونواهي الله وإشهار شغفه بمكارم رسالة الإسلام. في(النَّبيّ) يقول بوشكين:

كالجثة الهامدة،كنت مضطجعاً

في الصحراء،

حين ناداني صوت الرب:

(قُم،أيها النَّبيّ،انظر واسمع

ونفذ مشيئتي،

وجب البحار واليابسة

وبالكلمة أشعلْ قلوب الناس.)

يتبين من هذه القراءة،أن خطاب القُرآن الكريم بان جلياً في تأملات وتعبيرات بوشكين الشعرية المفعمة بالهواجس والقيم الروحانية ذات النزعة الإنسانية المتسامحة والمنفتحة على ثقافات الأقوام والأديان. وغدا (الخطاب)مصدر إلهام- معرفي،فاعل وممتد في أبعاده العقائدية-الفلسفية والاجتماعية-الأخلاقية.اختاره الأديب بوشكين لإثراء موهبته وخطابه وموضوعاته الوجدانية الفكرية،وبث المزيد من الإيمان الواعي بين عباد الله المتطلعين إلى معرفة العالمين،الفاني والخالد، والخشوع التقي لإرادة الخالق مالك السماوات والأرض وما بينهما.،وأيضاً نعثر في روائع بوشكين الشعرية والسردية،على عقيدة تبشرُ بمجتمع لا ظلمَ فيه ولا كراهية.،وحتى نبلغ ذاك المجتمع المنشود نبقى نردد مع الشاعر ميخائيل ليرمونتوف القسم الذي أُوحي إليه من قبس القران المُنير ورسالته الإيمانية-الاجتماعية وضمنه قصيدته الجِّن:

أقسم بيوم الخليقة الأول

أقسم بيومها الأخير

أقسم بعار الجريمة

وبسيادة الحق الخالد.

أقسم بألم الانهيار المرير،

وبانتصار الحلم القصير؛

أُقسمُ باللقاء معك
وبالفراق المريع من جديد.
.....
أُقسمُ بالنعيم والعناء،
أُقسمُ بحبي؛
إنّي تنازلتُ عن الثأر القديم،
إنّي تخليتُ عن الأفكار الشامخة؛
ومن الآن لن يقلق سم التملق الماكر
عقل أحد بشيءٍ ؛
أريد التصالح مع السماء،
أريدُ أن أحب،أن أُصَلّي،
أريدُ أن أؤمن بالخير.

من قبس القُرآن والسِّيرة

ظاهرة اقتباس آيات كريمة ومعطيات دينية–ثقافية من تاريخ العرب والإسلام وطراز حياة المسلمين،الواردة بجلاء في قصائد ونثر الأديب الموسوعي المستأنس بآداب الشعوب ألكسندر بوشكين استساغها معاصروه وأتباعه من شعراء ورواة ونقاد،وطال تأثيرها رحالة وعلماء وفلاسفة روسيا القرن التاسع عشر–بداية القرن العشرين،الذين بحثوا فيها عن مادة للتأمل تُذكّر بالله وصلته بالإنسان وبالحياة الدنيا والآخرة.إلى هؤلاء النخبة من الأدباء ينتسب الشعراء؛قسطنطين باتيوشكوف (١٧٨٧–١٨٥٥) وبطرس مانا‌سسيين(١٨٠٣–١٨٣٧)وفيودور تيوتشييف(١٨٠٣–١٨٧٣) ولوقيان

ياكوبوفيتش(١٨٠٥-١٨٣٩)والكسندر روتتشييف(١٨٠٦-١٨٧٣) وأندريه مورافيوف (١٨٠٦- ١٨٧٤)ميخائيل ليرمونتوف(١٨١٤-١٨٤١)وياكوف بولونسكي (١٨١٩- ١٨٩٨) وآبولون مايكوف(١٨٢١-١٨٩٧)واليكسي أبوختين (١٨٤٠- ١٨٩٣) وفلاديمير سولوفيوف (١٨٥٣-١٩٠٠) وقسطنطين سلوتشيفسكي (١٨٣٧-١٩٠٤) وسيميون نادسون (١٨٦٢-١٨٨٧) وقسطنطين بالمونت(١٨٦٧-١٩٤٢) وفاليري بريوسوف (١٨٧٣-١٩٢٤) وإيفان بونين(١٨٧٠-١٩٥٣) ونيقولاي غوميلوف(١٨٨٦-١٩٢١) وغيرهم.

تميزت اقتباسات معاصري الكسندر بوشكين(١٧٩٩-١٨٣٧) وأتباعه من أجيال الشعراء الروس،من القُرآن الكريم والسِّيرة النَّبويَّة بتنوع الموضوعات وسعة وكثافة الاستعارات الدينية والثقافية.وكان لاحتكاك هؤلاء الشعراء بحياة المسلمين الروس وثقافتهم وما جاورهم من أقوام مسلمة دور هام في إثراء دائرة معارفهم وتصوراتهم عن الشرق الإسلامي بل ونظرتهم إلى العالم في بعديه الديني والدنيوي وجعلها أكثر سعة وتنوعاً.،كما وساهم تطور وانتشار دوائر الاستعراب والدراسات الإسلامية وحركة الترجمة من العربية والتركية والفارسية إلى الروسية في توفير مصادر مدونة من إرث الثقافة الإسلامية ذات أهمية ملحة أتاحت للأدباء الروس مادة نموذجية متنوعة وثرية أشعلت وجدان الشعراء وألهمت لبابهم واستنهضت هممهم في نظم قصائد(روحانية)لامستها قبسات صوفية مستوحاة من سفر القُرآن وسيرة الرَّسول الكريم وملاحم التاريخ العربي والإسلامي.ولعلهم وجدوا في هذا الإرث الثَّري والمميز ضالتهم المنشودة في تجديد الرؤية والخيال الشعري

عبر توليد نصوص جديدة مشبعة بالمشاهد العفيفة والجمال الروحاني الخلاق المنفتحة على السِّير الحياتية الخيرة والمنغمسة في خلق مجتمع رحيم عادل ومتسامح.

هذه الاستعارات المختارة بدقة استثمرت بحيوية ونشاط في روائع الشعر والنثر الروسي الحديث.وقدمت لقارئ الروسية مؤشرات دالة على تعدد وتنوع روافد المؤثرات الإسلامية في النتاج السردي والشعري الروسي،الملحمي والغنائي،حتى غدت على مدى قرن من الزمان تقليداً باذخاً،بل يعده البعض تياراً رفيعاً،في الشعر الكلاسيكي الروسي،ولم ينأ عن تأثيراته إبداع الشعراء المعاصرين.لما لها من دلالات حسية تعبيرية مشحونة بالرؤى والمشاهد والوجوه التي أثرت في الذات البشرية ووعيها المتداول.ومن موئل هذا الخطاب،العربي والإسلامي،البليغ وإرثه النفيس المدون والمروي والمشيد صاغ الشعراء في نصوصهم مداركهم وتصوراتهم الجديدة.،أجل من هذا الإرث ذي الخصوصية التعبيرية الموحية بإنس وجلالة القيم الإنسانية المنشودة،استقت مئات القصائد الروسية،بشغفِ ووعي ورهافةِ المُدرك مادتها الخصبة.ما يؤشر لبروز نصوص شعرية جديدة ومتنوعة جمعها موضوع متشابه بل ومتماثل هو؛ تضمين قصائد الشعراء الروس آيات قُرآنية ومشاهد من سيرة الرّسول الكريم وما هو موحي وممتع من القيم الوجدانية والثقافية الموروثة.ولنا في(أغنية الدرويش)من دراما "معركة قرب تفريد،أو سقوط الصليبيين في فلسطين")للشاعر أندريه مورافيوف (١٨٠٦-١٨٧٤)نموذج يظهر نصيّة الاقتباس.بل أن الشاعر استعار حرفياً عبارة (الله كريم)وأوردها بلفظها العربي في نهاية كل مقطع شعري من قصيدته،ولا

ندري أين سمع عبارة المسلمين لأكثر شيوعاً هل على أرض فلسطين أم في بلاد النيل اللتين زارهما في رحلة طويلة عام(١٨٢٩)؟.فعلاوة على انتفاعه من بعدها(الله كريم)الديني استثمرها أيضاً لأغراض الإيقاع والقافية ؛

يهبنا الله الليل والنهار،
كي نمجد أعماله
وما نجم الصباح إلا ظله–
بشعاعه يفضح المذنبين.
الله كريم ! الله كريم !

أمامَ الله يقفُ النَّبيُّ متوسلاً ،

والله ماسك بقبضته الرعدَ

المتأهب للدحر،

وصبره لا ينفذ
الله كريم ! الله كريم !

.....

ولِّيَّ وجهكَ شطر الكعبةِ [٣١]
صَلِّ وكن متأهباً ! من يعلم،

ما الذي أخفاه لك القضاء والقدر ؟

سعيد،من يلاقي بجرأةٍ مصيره !

الله كريم ! الله كريم !
الجنةُ– للناجين،
والجحيمُ– للهالكين

يا أبناء الأرض،أسرعوا–

هناك تفضح كل الأعمال؛

امسحوا بالتوبة ذنوبكم !

الله كريم ! الله كريم !

ويكمن المغزى العميق لقصيدة الشاعر الصوفي الكسندر شيشكوف(١٧٩٩-١٨٣٢)،خليل بوشكين،التي يخاطب فيها صديقه الصوفي الشاعر فيودور غلينكا، في بحثها عن النجاة(في الساعة المقررة)من خطايا وآثام الحياة ومغرياتها الجمّة، على يدِ الغيب الكريمةِ.وصراحة استمد الشاعر مادتها وأفكارها ومشاهدها التعبيرية الموحية والجليلة بمرادها المنشود،من عناء وكرب حاج مسلم شد الرَّحال (في صيف قائظ)إلى بيت الله الحرام و(على الرمال المتوهجة)راح يقطع بشقاء المسافات العكرة الطويلة و(مكة المكرمة بعيدة)!عله يبلغ مرامه،ولو بمشقة ليُهديه لغاية جليلة.وفي القصيدة ظهور واضح لشخصية الشاعر وإلمامه بسبيل النجاة وتصوره عن المغزى العميق لحياة ورسالة وسعي المسلم الصالح في الدنيا ليكسب الآخرة؛

في الجزيرة العربية،
تحت قيظ الصيف ،
وَوسط التّعب والظمأ والكرب ،
يشقى نصيرُ مُحَمَّد
على الرِّمال المتوهجة .
ومكة المكرمةُ بعيدةٌ،
.....
يا صديقي[٣٢]!ولنا واحة أيضاً !
يدُ الغيبِ الكريمةُ أنقذتنا
في الساعة المقررة،
من الصحراء الحامية !

ويظل سر انجذاب الشعراء الرّوس وتوجههم إلى كلام الله يكمن في الإعجاب بالمزايا الجمالية الفذة لخطاب القرآن ومحتواه الروحاني والفلسفي وما يكنزه من حكم وسير وعبر.حفزتهم على إثراء قصائدهم بمواضيع ومشاهد جديدة تم اقتباسها مباشرة من القُرآن الكريم.لذا أنفذوا بصيرتهم في معاني السّور والتزموا الحرص على تأكيد مدلولها وإدراك بعدها الديني والاجتماعي.واجتهدوا في صياغة فكرة وفضاء القصيدة بما ينسجم مع مغزى ومراد الآيات الكريمة وغرس الإحساس بجلالة قيمها وعبرها في نفوس القراء.فها هو ذا الشاعر الرومانسي لوقيان ياكوبوفيتش(١٨٠٥-١٨٣٩)يبدأ قصيدته؛(من القُرآن)-وفيها تقليد لقصيدة بوشكين (من وحي القرآن)- يقسم بالشمس والقمر كما جاء في(سُورةِ الشَّمس)؛(والشَّمس وَضُحاها*والقَمَرِ إذا تَلَهَا*والنَّهارِ إذا جَلَّهَا*واللَّيْلِ إذا يَغْشَهَا*والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا* والأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا*..).ويختمها بآيات من سور هود؛ (٦٤-٦٨) والأعراف؛ (٧٣-٧٨) والحاقّة (٣-٩)...

أقسم بالشمس والقمر
أقسم بالليل والنهار
أقسم بالسماء والأرض
أقسم بالحمير والخيل
أقسم بذاك،الذي منحنا،
منذُ دهور،الموهبة العقلية،
من خلق كل شيء- والإنسان
وللمتعة خلق :

ما سيكون سعادة مدى الدهر

من أحب هنا الحقيقة دوماً،

من حفظ السُّنّة،وصلى بمكة

وفي المعارك ضحَّى بنفسه.

وفي قصيدة(ترس أوليغ[٣٣])يتوجه الشاعر فيودور تيوتتشييف(١٨٠٣-١٨٧٣) بالدعاء إلى الله تعالى(نور الأنوار)كي يسلط عليه نوره في ليل اسطنبول.(يا لله! سلط علينا نورك!أنت بهاء وأزر المؤمنين\وهول على الكافرين المُنافقين... ومحمد نبيك).ونلمس في تضرعات تيوتتشييف الابتهالات والتوسلات نفسها التي يستهل بها المسلم التَّقي دعاءه،وإحساساً بضعف الإنسان وعجزه في مواجهة المصائب والبلايا،ولهفة وتوق الروح القلقة الحائرة إلى عون الرحمن الرحيم؛

"يا الله! سلط علينا نورك !

أنت بهاءُ وأزرُ المؤمنين !

وهولٌ على الكافرين المنافقين !

ومحمد- نبيك "

٢

" يا عِزَّنا و حصننا !

أيها الإله العظيم ! أهدنا الآن

كما أهديت من قبل

في الصحراء شعبك المُصطفى !.."

٣

الليل أخرس ! الكل صامت !

وعلى غرة ...من وراء السحب سطع القمر-

وفوق بوابة اسطنبول

أضاء ترس أوليغ

من هذه النصوص الشعرية–الروحانية المميزة،التي لا تخلو من نفحات صوفية،يتضح أن قصائد الشاعر الكسندر بوشكين وطليعة الشعراء الكلاسيكيين الروس المتأثرة بعقيدة وقيم وخطاب القرآن الكريم،كما وردت في الترجمات الروسية، ضمتْ آيات مجيدة اكتنزت حوادث تاريخية جليلة ومواعظ فذة وعبر حميدة وسير كريمة لرسل الله وأنبيائه،تم إخراجها بأسلوب شعري بهي ولغة محكمة صافية تنساب في رهافة وتدفق يلازمها إيقاع متناسق ونغم شجي حافظ فيه الناظمون الروس على روح وعبر كتاب الله الحكيم ورسالته الإيمانية التقية وعلى مناقب سير الأنبياء والصالحين،وتحذيره كُلَّ مَنْ ضَلَّ عن الصِّراط المستقيم وتبشيره بالقيم الرَّبانية الرَّحيمة–الحَقّة(ولا تَلبَسُوا الحقَّ بالباطلِ وتَكتُمُوا الحَقَّ وانتُم تَعلمُونَ)[٣٤] المُسندة إلى إيمان العَالِم وأخلاق النَّقي وحُكم العادل وسماحة الحاكم وشكيمة المُحق.

الحواشـــــي

١–حتى نهاية القرن التاسع عشر كان غالبية المترجمين والدبلوماسيين والمستشرقين والأدباء الروس،منهم؛ (بوستنيكوف، فيريوفكين، ديرجافين، بوشكين، دوستويفسكي، تولستوي،نيكولاييف،سولوفيوف،بالمونت،بونين.) يكتبون ويلفظون اسم نبينا مُحَمَّد(ص)باللغة الروسي(Mogomet) يقابلها حرفياً باللغة العربية (مُغُميت)، ومصدر هذا الترجمات الأوروبية التي أخذت

اللفظ عن التركية.وتدريجياً،ومع انتشار ترجمات معاني القرآن الكريم من العربية مباشرة إلى الروسية وتطور علم الاستعراب الروسي والدراسات الإسلامية أصبح المترجمون والمستعربون ينقلون أسم الرسول الكريم كما هو في اللغة العربية باستثناء حرف الحاء الذي لا تتضمنه حروف الهجاء الروسية(٣٣حرفاً)فيُبَدِّلَ بالحرف (Kh) \(X)\(خَ)،ويشدد حرف الميم (MM) كما هو في الأصل العربي.واليوم ورغم التفاعل المباشر والتأثير المتبادل بين الثقافتين العربية والروسية وانتشار المراكز والمدارس الإسلامية والأدبيات العربية،فأن العديد من العلماء والكتاب الروس مازالوا يكتبون اسم الرسول الكريم ويلفظونه بالصيغة القديمة(Mogomet) .إلا أن الصيغة الأكثر شيوعاً(كتابة ولفظاً)هي الأقرب إلى اللفظ العربي(Mukhammed) .وهكذا يمكن لقارئ الروسية الكريم مقارنة اللفظين.(ناظم الديراوي).

٢-الطبعة الثانية ترجمة(أ. دو رووبيه)،صدرت في باريس عام(١٦٧٢)، اقتناها، لاحقاً، بطرس بوستنيكوف وقت إقامته خارج بلاده.

٣ – القائم بالأعمال الفرنسي في مصر و تركيا في ثلاثينات القرن السابع عشر.

٤-كاتارينا موزين،جوته والعالم العربي.ترجمة د.عدنان عباس علي.عالم المعرفة عدد؛ ١٩٤.الكويت؛شباط١٩٩٥،ص؛ ١٨٤.

٥- المصدر السابق. ص؛ ١٧٩.

٦- نشير إلى ترجمة المستشرق اسكندر روس(A.Ross) التي تُعد أولى تلك الترجمات إلى اللغة الإنجليزية،وقد نشرت عام(١٦٤٩)وأعيد طباعاتها مرات عديدة حتى عام(١٦٨٨).

٧- هو نهج دأبت عليه ترجمات معاني القرآن الكريم المبكرة(التي كان الهدف منها أن ينتفع بها اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون في صراعهم العقائدي مع الإسلام).المصدر نفسه.ص١٧٩ .

٨-هامر،يوسف فون.كنوز الشرق(Fundgruben des Orients).ج:١،فينا (١٩٠٨)، ص٣٦٢.راجع(كاتارينا موزين،مصدر سابق.ص٣٤٨).

٩-تذكر المصادر أن ترجمة روسية لمعاني القُرآن الكريم(القُرآن،أو القانون المحمدي) أعدت في الربع الأول من القرن الثامن عشر(من قبل مترجم مجهول)من الفرنسية(نسخة أ. ديو روييه).وكررت النواقص والأخطاء التي وردت في ترجمة بوستيكوف .

١٠-أيضاً تُرجمت من اللغة الفرنسية واعتمدت كلياً على ترجمة(أندريه ديو روييه).وجاء عنوانها طويلاً أقرب إلى التعليق منه إلى العنوان!(كتاب القُرآن للإعرابي(مغميت)الَّذي ادعى في القرن السادس(!)إنه موحى إليه من السماء،وأنه خاتم وأعظم أنبياء الإله !).ناهيك أن التعليق انطوى على أخطاء تاريخية،كما إنه يرتاب بمصدر القُرآن وبنبوة الرسول العظيم! (ناظم الديراوي).

١١- بمطبعة أكاديمية العلوم الروسية.

١٢- للمزيد،اقرأ ترجمة نماذج من هذه القصائد في الصفحات اللاحقة.

١٣- سورة العنكبوت،آية (٤٦) .

١٤- صدرت ترجمة(جورج سيل \George Sale)عام(١٧٣٤)وحظيت بتقدير كبير من أهل الخبرة والاختصاص بسبب التزامها الشديد بالأصل العربي،ونقلت إلى الألمانية والهولندية والفرنسية بعد فترة وجيزة من

صدورها. (للمزيد، أنظر؛ جوته والعالم العربي.مصدر سابق،ص؛١٨٠).أما ترجمة اليكسي كولماكوف (قُرآن (مُغمد) مُحَمَّد)التي ضمت ملحقاً كتبه جورج سيل يعلق فيه على نص القرآن الكريم استند في وضع مادته إلى بحث المستشرق الإيطالي لودوفيكو ماراتشي،فقد تميزت بالدقة والأمانة في نقل النص الإنجليزي،رغم احتوائها على أخطاء ومغالطات في النسخة الإنجليزية.

١٥-حظيت هذه الطبعة الفاخرة للمصحف الشريف باهتمام القراء.الأمر الذي حث المسؤولين على إعادة طباعتها عدة مرات خلال عشر سنوات(١٧٨٩، ١٧٩٠، ١٧٩٣، ١٧٩٦، ١٧٩٨).

١٦-دميتري نيكولايفتيش بوغوسلافسكي(١٨٢٦-١٨٩٣).خريج كلية اللغات الشرقية بجامعة سانت-بطرسبورغ.عمل في الفترة(١٨٦٢-١٨٧٠)في وزارة الشؤون الخارجية الروسية،ثم نُقل للخدمة في السفارة الروسية في اسطنبول،وفي هذا الوقت انشغل في ترجمة المؤلفات الأدبية من اللغات العربية والتاجيكية والتركية إلى اللغتين الروسية والفرنسية.

١٧- معلم الأديب والناقد الروسي نيكولاي تشيرنيشيفسكي(١٨٢٨-١٨٨٩)،في المدرسة الثانوية بمدينة ساراتوف.

١٨-أعيد طباعتها في سانت.بطرسبورغ وقازان في أعوام (١٨٩٦،١٨٩٤، ١٩٠٧، ١٩٩٠،).كذلك أصدرت الهيئة الخيرية الإسلامية الكويتية طبعة جديدة لها (مصححة ومنقحة!) عام ١٩٩٣\،كررت الأخطاء الواردة في النسخة الأصلية.

١٩-نَظَّمها الشاعر عام(١٨٢٤).وعنوانها باللغة الروسية هو؛ (Podrazhaniya Koranu)وتعني حرفياً بالعربية(تقليد القرآن).وهذا عُرفٌ دأب عليه الشعراء الأوروبيون في(عنونة)قصائدهم المتأثرة بالقرآن الكريم أو المستقاة منه.غير أننا ارتأينا أن نترجمها بعنوان(من وحي القرآن)ويصح أيضاً(مُحاكاة القرآن). أولاً ؛ لأن الشاعر بوشكين لم يسع إلى تقليد روح وخطاب كلام الله ،وهو الَّذي لا يعرف منه ومن كلام العرب إلا ما نُقِلَ إلى اللغتين الروسية والفرنسية.بل كان غرضه من ذلك إثراء معارفه الدينية والأدبية والفلسفية والبحث عما يضفي على نفسه السَّكِينة والطمأنينة.التي كانت تشكو من هواجس واضطرابات في منفاه بجنوب روسيا،وإخصاب أشعاره الروحانية،التي لم تخل من تأملات وهيام في الوجود والإنسان،بالحِكم الإلهية مثلما فعل من قبله الشاعر الألماني الشهير يوهان جوته.ولأجل هذا اقتبس بوشكين واستوحى موضوعات وصور إلهاماته الشعرية وأطيافها من سور القرآن الكريم،واستفاد منها في نظم قصيدته الجياشة بتقوى القرآن والدالة على موقف إيجابي نزيه ومنصف حيال تعاليم وقيم ومواعظ كتاب الله وإعجابه الشديد بخصال النَّبيّ محمد(ص) وإكباره لسيرته الشريفة. ثانياً ؛ ليس في عُرف الكتابات العربية والإسلامية مَنْ يقلد كلام الله تعالى وهو الإعجاز الذي تحدى به العلي القدر عباقرة الشعراء والحكماء العرب إبّان حقبة الدعوة الإسلامية.وفي تقليد القرآن،عند فقهاء المسلمين،شرك وتضليل.(ن. الديراوي).

٢٠- هذه القصيدة ما يليها من قصائد ومقطوعات شعرية روسية يضمها هذا المقال من ترجمة/ناظم الديراوي.

* جاء في النص الملاحقة لغرض التنكيل.

٢١-ترجمنا هذا البيت سابقاً على النحو التالي؛(أقسم بالعدد الشفعي والفردي)وبعد قراءتنا لسورة الفجر آثرنا أن نترجمه؛(أقسم بالشفع والوتر).كما جاء في الآية الثالثة من سورة الفجر.التي اقتبس منها بوشكن البيت الأول من قصيدته.

- خلال إعدادنا ورقة علمية للمشاركة في الندوة السنوية لمستعربي مدينة سانت-بطرسبورغ عام(٢٠٠٧)،لاحظنا أن أهم وأشهر ترجمات معاني القُرآن الكريم إلى اللغة الروسية،التي أعدها المستعربون؛(بوغوسلافسكي، سابليكوف، كراتشكوفسكي)، والمنقولة مباشرة من اللغة العربية(نهاية القرن التاسع عشر-منتصف القرن العشرين) حوت أخطاء جسيمة(غير متعمدة) في نقلها بعض الآيات الكريمة إلى الروسية.هذه الترجمات الروسية وما سبقها من ترجمات عن الفرنسية والإنجليزية ((كترجمات فيريوفكين وكولماكوف ونيكولاييف)اعتمدها الشعراء الروس في اقتباساتهم.وما يمكن ذكره في هذه الحاشية من أخطاء غيرت معنى الآيات الكريمة،وإن شاءَ الله لنا حديث أدق واشمل في هذا الموضوع،هو ترجمة الآيات التي أقْسَمَ فيها الله سبحانه وتعالى بالكون وظواهره وبمخلوقاته الحيَّة وبصيغة (لا أُقْسِمُ ...) أو (فلا أُقسِمُ...).إذ التبس،على بعضهم(المترجمين)،أمر (لا) الزائدة فترجموها بمعنى نفي القسم(нет -no) إلى الروسية.وبهذا تغير معنى كلام الله المراد به إثبات وتوكيد القسم لا نفيه!..من تلك الترجمات غير الصَّحيحة؛(لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ ١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ٣)(سورة البَلَدِ) (بوغوسلافسكي وكراتشكوفسكي)،(لا أُقْسِمُ بيوم القِيمَةِ*وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ

اللَّوامَةِ*) (بوغوسلافسكي)، (فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرونَ)،(فَلا أُقْسِمُ بالخُنَسِ١٥ الجَوَارِ الكُنَّسِ ١٦والَّيْلِ إذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ ١٨)(سورة التَّكوير) (بوغوسلافسكي)،(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ)،(فَلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ).

٢٢- انظر سورة الفجر(والفجر١ وليالٍ عشرٍ ٢ والشَّفعِ والوَترِ ٣ والَّيلِ إذا يَسرِ ٤).

٢٣- سورة النَّجم(والنَّجْمِ إذا هوى ١ ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوَى٢).

٢٤- سورة الضُحى(والضُحى١ والَّيلِ إذا سجى٢ ما ودَّعكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى٣).

٢٥- سورة مريم(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً(٥٠)).

- وانظر أيضاً سورة طه (وَحْلُلْ عُقْدَةً من لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُواْ قَوْلي (٢٨)).

٢٦- سورة الضّحَى(وَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩)).

٢٧- سورة المائدة(يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ...)(٦٧).

٢٨- سورةُ عَبَسَ(ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ(٢١)ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ(٢٢)).

٢٩- سورةُ عَبَسَ(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه(٣٤)وَأُمِّهِ وَأَبِيه(٣٥)وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه(٣٦)

٣٠- سورةُ عَبَسَ؛(وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(٤٠)ترهقها قترةٌ(٤١)أُولئكَ هُمْ الكفرةُ الفَجَرَةُ(٤٢))

٣١- أنظر سورة البقرة آيات:١٤٨-١٥٠.

٣٢- فيودور نيكولايفيتش غلينكا-شاعر صوفي معاصر الأديب بوشكين.

٣٣- أمير روسي.

٣٤ - سورة البقرة،آية(٤٢).